النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي
الكتاب الشيوعيون

لمراسل « الاداب » في دمشق

..*..

ان تكون أديبا .. ذلك يعني انك انسان ذو ضمير كبير ، وانك بحب ابتغاء الشهرة والمنفعة الشخصية بل انت رجل يصدر عن ضميره وينبني موقفه فلا يحيد قيد أنملة حتى تنتصر القضية . وقد كان هذا الامر صعبا في كل عصور التاريخ ، لكنه الان اشد صعوبة واعسر خطرا ، اذ ان بامكان الاديب ـ اي أديب ، ان يصبح ذا شهرة عالميه بالتعاون مع الشيوعية العالمية والاتحاد السوفياتي ، فهناك جوائز لمهرجانات الشباب وجوائز ستالين ولينين .. الخ وكل ذلك يمنح لاي فنان يرضى بالتعاون مع الشيوعيين ، بغض النظر عن مقدار اصالته ومع المراعاة الكاملة لبعد وطنه عن الشيوعية ، فكلما ابتعد الوطن عن الشيوعية كلما زاد حظ الاديب من الشهرة والكسب والدعوات والجوائز.. ربع العالم مفتوح لقلم اجير وضمير خائن .

بدأ الحزب الشيوعي عملية استعباد الافكار بتأسيس رابطة الكتاب ـ السوريين ـ تم حولت الى رابطة للكتاب العرب ـ ورغم وجود عناصر مستقلة في الرابطة فقد نجح الحزب في السيطرة على الرابطة وتوجيهها لبث افكاره كما يشاء مقابل دعمها في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، وكان دور الكتاب الشيوعيين كبيرا في كسب « الانصار » وتحويل انظار الشعب عن الوحدة الى « الخبز » .

مثل الكتاب الشيوعيون ـ داخل الرابطة ـ مهزلة ادت الى زيف الانتاج الادبي وبعده عن الاتصال الاصيل بالروح الحقيقية لشعبنا العربي فهم دعموا نتاج بعضهم ، وتقارضوا الثناء بالحق والباطل ، واستوردوا اكثر موضوعاتهم من وحي النظرية الماركسية والواقعية الاشتراكية ، فعميت عيونهم عن المشكلات الحقيقية التي كان شعبنا يناضل للتخلص من وطأتها ، كالاقطاع والبيروقراطية ومؤامرات المستعمرين .. تركوا كل ذلك وكتبوا عن العمال في مناجم الفحم والحديد ! وكتبوا كثيرا مادحين النظام السوفياتي وعن رحلاتهم الى الديمقراطيات الشعبية .. جنة الله على الارض .

اننا لن ننسى انهم كتبوا المؤلفات عن « ديان بيان فو » ولم يذكروا فلسطين ولا اسكندرون بكلمة واحدة ... رفعا للعتب ، ورفعوا قصائد المديح والتمجيد الى الرفيق الراحل ستالين والرفيق المقيم ماوتسي تونغ واشادوا بعظمة الشعب الثائر في كل مكان.. الا في البلاد التي نريد ان تتوحد ! كتبوا عن الرفاق والثائرين وصمتوا عن رئيسنا العظيم وثورة الجزائر !

وحين قوي نفوذ الحزب سللوا الى الصحف اليومية ثم الى المؤسسات الرسمية واستولوا على اكثر اقسام التوجيه الفكري في الاذاعة والدعاية ومجلات الجيش .. وفرضوا رقابة بالغة الشدة على كل انواع الثقافة الحرة .. بينما اغرقوا الاسواق بالكتب الشيوعية وكل ما يضعف الشعور القومي ويخدم اميتهم الخائنة .

لم يكن الحزب الشيوعي ولا افراد الرابطة يملكون العدد الكافي من الكتاب ، فلم يتوانوا عن الاستعانة بأناس عاميين: ليسوا موهوبين ولا مثقفين . وبذلك ارتكبوا خيانة فكرية تجاه الواجب الذي يقتضيه الاخلاص للحقيقة الادبية . وها هم ـ الكتاب الشيوعيون ـ يذيعون بياناتهم في اذاعة دمشق منذ شهور ، يعترفون فيها انهم مضللون بحزب خائن وفكرة دخيلة ويتباكون فاطمين العهود امام الله والناس على الرجوع الى جادة الصواب والايمان بالوحدة والاخلاص للنظام القائم رغم اعترافهم بانهم أبناء الحزب الشيوعي ، وان الحزب قد سخر الرابطة لخدمة اهدافه .

ومن العجيب ان هؤلاء « المخدوعين » كانوا الوجه الادبي للاقليم السوري طيلة سنين ففنموا مكاسب منها ان ترجمت قصصهم الى اكثر من عشر « لغات » ومنها انهم جابوا البلاد وحضروا المؤتمرات وتمتعوا باستاذية توجيه الناشئة باسم الادب مدة طويلة جدا .

ما اسرع ما نراجع هؤلاء « الادباء » عن « مبادئهم » وما اسرع ما اعلنوا « اخطاءهم » وعودتهم الى جادة « القومية العربية » ! حدث ذلك رغم ما هو معروف عن « صلابة الرفاق المناضلين » وعن حملهم فكرتهم حتى النصر او الموت ! ما أعجب هذا ؟ ولكن الا يدفعنا موقفهم الحالي ان نشك في موقفهم السابق ؟ الا يحق لنا ان نقول انهم خدعوا الحزب ولم ينخدعوا به ! لقد خدعوا الحزب واستثمروه وحققوا لاحلامهم الادبية ما لم يستطيعوا ان يحققوه بكفاءاتهم وانتاجهم . ولعلهم كانوا يشعرون في صميمهم بأنهم منحرفون عن سير امتهم منعزلون عن نضالها خائنون لضميرها . ولهذا السبب انهاروا امام اول اخفاق لحزبهم فتخلوا عنه وشتموه واعترفوا بأخطائهم وبأن الحزب الشيوعي كان يستغلهم ويستغل الرابطة ضد اهداف الشعب .

ومع كل ذلك فقد ابى المسؤولون الا ان يعربوا عن صفحهم وحسن نواياهم ، وان يؤكدوا بما لا يقبل الشك ان الحرية هي الاساس الراسخ في كيان الجمهورية العربية : لذلك سمحت وزارة الخارجية في الاقليم الشمالي لرابطة الكتاب العرب باستئناف نشاطها الادبي ضمن خط القومية العربية ووجه الاستاذ انطون حمصي والاستاذ صميم الشريف الدعوة الى اعضاء الرابطة لانتخاب مكتب جديد . وقد بدأت طبولهم تقرع وبدأ اذناب الرابطة الذين اختفوا حينا يعودون الى النيل من كرامة الادباء العرب . انهم يعودون من جديد بنفس التكتيك القديم . يسخرون الجرائد لمدح بعضهم بعضا ويتنادون بأنفس الالقاب واكرم التحيات . ومع ذلك فان السياسة العامة معهم تقوم على « غض النظر» والتسامح بانتظار اثباتهم انهم منسجمون مع البيانات التي اذاعوها واعترفوا جميعا بأن الحزب الشيوعي كان يسخر الرابطة لاهدافه . وحتى يبدأوا انتاجهم ويبرهنوا اخلاصهم للقومية العربية ..نظل منتظرين!

تفرغ الادبـاء

صدر قانون تفرغ الادباء في الاقليم الشمالي وسوف تشكل لجان فنية يعهد اليها بدراسة طلبات الادباء . ولا بد ان نقول انه قرار من

روح الثورة ، وهو جزء من برنامج وزارة الثقافه في رعاية الوضع الفكري والعمل على تحسينه . وليس لنا هنا الا ملاحظات اساسية ما دمنا في انتظار تنفيذ القانون .

اول هذه الملاحظات هي ان التفرغ حل جزئي في حياة الاديب ، فاذا كان الاديب مجهدا في عمله الاساسي غارقا في مشكلات مهنته فان فترة التفرغ سوف تكون فترة بقاهة واستجمام وسوف يمضي اكثرها في تركيز الافكار واستجماع الذهن المتعب والملكة المضيعة ، لذلك فان الحل الاكثر جذرية توفير عمل قريب من طبيعة الادب لا يجمد الذهن ولا يرهقه . ولنا على ذلك مثال قريب هو وجود بعض الشعراء والادباء في وزارة التربية والتعليم . وكل مطاليب هؤلاء ان ينتقلوا الى وظيفة لا تجبرهم ان « يثقفوا » انفسهم بتصحيح وظائف الانشاء والقواعد.. انهم يريدون اي عمل يتيح لهم اذا غادروا مكاتبهم ان يخلو الى نفوسهم بعض الشيء . ومع ان هؤلاء لا يتجاوزون اصابع اليد في الوزارة كلها، ومع ان الوزير التنفيذي سيادة الدكتور امجد طرابلسي يعرف من تجربته الشخصية ان التدريس يجمد الموهبة ان لم يقتلها ... مع كل ذلك لم ينظر الى امرهم بعين الرحمة بمواهبهم على الاقل .

واذن فالملاحظة الاولى هي ان فترة التفرغ شيء عارض في حياة الاديب اما الاصلاح الدائم فهو اصلاح اوضاع الاديب ككل ، وبذلك يستغني عن التفرغ او يستفيد اكبر الفائدة منه .

الامر الثاني هو تيسير وسائل النشر وذلك بازالة الضرائب المفروضة على الورق وامور الطبع والنشر ، كما ان المراقبة الادبية يجب ان تسلم الى اختصاصيين من ذوي الاطلاع على امور الادب . فاذا اقترن ذلك بشراء عدد من نسخ الكتاب وتوزيعها على المكتبات امكننا ان نقول ان ربحا ماديا حقيقيا سوف يدخل الى جيب المؤلف ويدفعه الى احتراف الادب وبذلك تصرف اموال التفرغ الى مشروعات اخر .

اما الملاحظة الاخيرة والمحيفة فهي ان نصرف اموال التفرغ الى « الطقم القديم » من المتنفعين بالادب امثال الدكاترة الادبيين والمحققين الادبيين والمتقاعدين الادبيين والشيوخ الادبيين والمنافقين الادبيين ونحجب عن ذوي المواهب الحقيقية والنشاط الادبي المتطور . بل انني اقترح وقف ثلاثة ارباعها للكتاب الشبان الذين يشتغلون في حقول الفنون الادبية الحديثة كالشعر والدراسة والقصة . وانني اذ اطالب بقصر التفرغ على الشبان من الادباء استند الى حقيقة اساسية في الحياة الادبية للاقليم الشمالي، وهو اننا في هذا الاقليم لا نعرف ازمة شيوخ وشبان ، فكل الذين كتبوا بين ١٩٣٥ و ١٩٤٥ قد انقطعوا تقريبا عن الكتابة . لذلك فان كتاب سورية شباب كلهم ولذلك يجب ان يقتصر التفرغ على الشبان من الادباء اكثر من غيرهم من اصحاب السوابق الادبية .

المعرض

هو فرحة دمشق ونحرها الاجتماعي وانفتاحة الاقليم الشمالي على العالم ، وقد افتتح من ٢١ اب الى ٢٠ ايلول ولوحظ فيه فلة دول المعسكر الشرقي الى جانب اشتراك بريطانيا وامريكا . لكنه مع ذلك معرض هزيل ودون مستوى المعارض السابقة . اما مسرح المعرض الذي استدعى في يوم من الايام فرق الباليه والموسيقى فقد اقتصر على الانتاج الفني المحلي للفرق التمثيلية في اقليمي الجمهورية العربية . ولا ندري لاي سبب حرمتنا ادارة المسرح من سماع موسيقى لا نعرفها ومشاهدة رقص لم نألفه .. لماذا نقنع بما عندنا ؟ ان الدبكة والرقصات الشعبية شيء جميل لا شك ، كما ان تمثيليات الفرق المصرية لا تخلو من الجودة ولكن الم يكن من الملائم ان نجعل من مسرح المعرض في هذا الشهر اداة لتثقيف المثقفين واطلاعهم على تطور الفنون العالمية ؟

ولماذا نترك المعرض بالذات سوقا تجارية حرة لا تتحكم في توجيهها فنجعل عاما للصناعات الثقيلة وعاما للصناعات اليدوية وعاما لغير ذلك من فنون العصر الحديث وبذلك يصبح للمعرض شيء من الوحدة العامة بدلا من ان يكون طليقا حسب اهواء الشركات والدول ؟

هذه اقتراحات بسيطة نرجو من المسؤولين ان ينظروا اليها في المعارض القادمة .

محيي الدين صبحي